



## أبناء غير سادة

---

- الإسكندرية تحت الحراسة.
- هل كان يمكن أن يحدث في الإسكندرية ما وقع في القاهرة؟
- في أول يوم للوزارة كان على أن أعرف من الذي أحرق القاهرة.
- إجازة سعيدة قضاها جنود بلوك النظام في العامرية يوم حريق القاهرة.

obeikandi.com

في العاشرة من صباح السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢. دق التليفون الموجود في مكتبي في الإسكندرية - وكنت محافظا لها - لأسمع على الطرف الآخر. وزير الداخلية فؤاد سراج الدين يسألنى كيف الحال عندك في الإسكندرية!؟

قلت: هادئ.. شوية مظاهرات يمكن في الجامعة وبعض المدارس.

قال: وبلوك النظام مشترك فيها؟

قلت بسرعة: أبدا.. مين قال كده؟

قال: غريبة.

وسكت استلقت نظرى كلمة غريبة التى كان يبدو منها أن اشترك قوات بلوك النظام في المظاهرة أمر عادى، وأن الاستثناء أو الغريب هو عدم اشترائهم.

قلت: وهل بلوك النظام عندكم في القاهرة مشترك في المظاهرات!؟

- قال: نعم..

- قلت وكيف الحال في القاهرة؟

- قال: هناك مظاهرات ولكن الموقف هادئ بصورة عامة.

### حصر الخسائر

وانتهى الحديث التليفونى..

وما هى إلا ساعة أو أكثر حتى بدأت الأخبار ترد من القاهرة حاملة أنباء الكوارث التى بدأت تواجهها العاصمة.. فندق شبرد الكبير - وكان مكانه فى شارع إبراهيم باشا وحاليا شارع الجمهورية - يحترق، والنزلاء يلقون بأنفسهم، أو يلتقى بهم من الأدوار العليا للنجاة من الحريق. المتاجر والمحلات الكبرى التى يملكها الأجانب تحترق وينهب ما فيها. البنوك يتم اقتحامها والاستيلاء على خزائنها ونهبها أو إلقاؤها من النوافذ لكى تقع فى الشوارع ليلتقطها المارة ويتقاسموا ما فيها!

نادى «الترف» - أو «الترف كلوب» وهو ناد إنجليزي - كان مكانه محطة البنزين الموجودة فى شارع عدلى - يهاجم ويضرب الإنجليز داخله ويقتلون.. دور السينما تحترق .. الملاحى والمتاجر تشتعل فيها النيران..

هل كان كل هذا صحيحا أو إنها أخبار من نوع الشائعات؟! فالصورة كانت تتضخم وتحمل تفاصيل مهولة حتى تصورنا أن القاهرة كلها قد احترقت.. ولكن.. بعد أن تبددت سحب الدخان الكثيفة التى أحاطت بالقاهرة فى ذلك اليوم العجيب من تاريخها .. وبعد أن انفضت الجموع التى ملأت الشوارع، واستعادت أجهزة الأمن سيطرتها على هذه المدينة الجميلة التى يعود تاريخها إلى ألف سنة مضت، تبين أن الحريق أصاب:

٣٠٠ محل..

١٠٧ مكاتب أعمال..

١٣ فندقا..

٤٠ دارًا للسينما..

١٦ نادياً ..

٣٣ مطعمًا وصالة رقص وملهى..

٨ محلات لبيع السيارات..

بنكا واحداً..

٩٢ بارًا ..

.....

.....

لم تكن الخسارة سهلة كما هو واضح، وإنما كانت جسيمة ومذهلة. وعلى رغم ذلك ظل حريق القاهرة سرا مطويا .. وظل السؤال: من الذى أحرق القاهرة؟! لغزا محيرا!!!..

وكان قدرى أن أدخل الوزارة لأول مرة فى حياتى وزيرًا لداخلية مصر يوم الأحد ٢٧ يناير ١٩٥٢. لكى أحاول الإجابة عن هذا السؤال اللغز..

ولم أكن فى ذلك الوقت قد أكملت ٤٢ سنة .. فأنا من مواليد ١٤ يوليو عام ١٩١٠. وقد عملت فور حصولى على ليسانس الحقوق معاونًا للنياحة، ثم محاميا بقضاء الحكومة. ولصلة بين والدى المرحوم الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق ومحمد باشا محمود رئيس

الوزراء.. فقد عملت سكرتيرا له لكننى استقلت من الوظيفة ورشحت نفسى عام ١٩٣٨ لمجلس النواب عن دائرة المراغة بلدتى فى محافظة سوهاج مستقلاً عن جميع الأحزاب، وكنت واحدا من أصغر الذين عرفوا طريقهم إلى البرلمان.

كان من المفروض أن أعمل بالمحاماة، لكن القدر اختار أن أعود إلى الوظيفة وأن أنتقل للعمل وكيلا لمحافظة القناة وكانت تضم بورسعيد والإسماعيلية، ثم وكيلا لمحافظة الإسكندرية، ثم محافظا للسويس، فمديرا لمديرية بنى سويف ثم القليوبية ثم قنا. وفى عام ١٩٤٧ عينت مديرا للأمن العام ثم وكيلا لوزارة الداخلية حتى عام ١٩٥٠ حيث عينت محافظا للإسكندرية.

ومن الإسكندرية وصلت إلى القاهرة يوم الأحد ٢٧ يناير ١٩٥٢ لأدخل وزارة على باشا ماهر وزيرا للداخلية.

وكان أمامى أن أحاول الإجابة عن هذا السؤال اللغز: من الذى أحرق القاهرة!؟

هل كان يمكن أن يحدث فى الإسكندرية ما وقع فى القاهرة؟

كثيرا ما فكرت فى ذلك..

ولأ أعرف هل هو الحظ أو هو الحرص الذى جعلنى - وكنت المسئول عن الإسكندرية فى

نفس يوم حريق القاهرة - أتخذ ما اتخذت من احتياطات وإجراءات.

كان يوم ٢٥ يناير يوافق يوم جمعة.. يوم الإجازة.

وبعد الظهر وكنت فى منزلى فى حى زيزينيا بالإسكندرية، أحسست برعشة خفيفة

جعلتنى أسارع إلى تناول فنجان شاي وحبّة أسبرين..

وربما نمت ساعة، أو أكثر.. وعندما استيقظت وكانت الساعة تقترب من السادسة مساء،

مددت يدي إلى جهاز الراديو الكبير الذى يوجد إلى جوار السرير على مائدة خاصة، فلم

تكن أجهزة الراديو الترانزستور قد ظهرت بعد.. حولت مؤشر الراديو إلى محطة لندن

وكان أول خبر اسمعه عن وقوع صدام بين قوات الشرطة المصرية أو ما يسمى «بلوك النظام»

والقوات الإنجليزية فى مدينة الإسماعيلية، وأن القوات الإنجليزية بدباباتها ومدافعها

الثقيلة اشتبكت مع رجال الشرطة المسلحين ببنادق من طراز (رمنجتون) القديمة وهاجمت

ثكنتهم، وأنهم لم يستسلموا إلا بعد أن نفذت ذخيرتهم ودكت القنابل ثكنتهم، وبلغ عدد

ضحاياهم ستين جنديا.

## إجراءات أمن مشددة

كان الخبر مثيرا.. وقد تركت على أثره سريري ونسيت رعشة الحمى التى كانت قد انتابتنى قبل أن أغفو.. بدأت أفكر فى بلدى.. فى الإسكندرية التى أجلس على قمة المسئولية عنها.

إن فى الإسكندرية عددا كبيرا من قوات «بلوك النظام» ورجال البوليس مثلهم مثل المدنيين بشر.. ومن المؤكد أنهم حينما يسمعون مقتل زملائهم فى الإسماعيلية لن يسيكتوا. ثم إن الجماهير والطلبة فى مقدمتهم لا بد أن يعبروا عن غضبهم من هذا العدوان الكبير على جنود مصريين لم يكونوا يملكون إلا أقدم الأسلحة وأمامهم عدو تحمله الدبابات والمصفحات ويختفى خلف مدافعها..

من المؤكد أمام كل من يشتغل بالأمن أن يتوقع قيام المظاهرات والاحتجاجات.. وعندما بدأت أحصر حدود الإسكندرية بخيالى وجدت احتمالات كثيرة.. فالإسكندرية مركز تموين للبترو، وفيها أكبر مخازن الغلال والقطن والأخشاب، وفيها أكبر مستودعات البترول، فماذا لو اندست عناصر التخريب بين الجماهير وحاولت إثارة المشاعر وأشعلت النار فى تلك المستودعات؟!

لم أكن نبيا حتى أفكر فى هذه الاحتمالات، وإنما كنت أفكر فيها بحكم طبيعة رجل الأمن المختفى داخلى من خلال خبرة سنوات عملى مديرا للأمن العام ووكيلا للداخلية. وهكذا قررت العمل فورا.

طلبت قائد شرطة الإسكندرية فى ذلك الوقت اللواء يسرى قمحة، وقلت له ما سمعته فى راديو لندن وما فكرت فيه.

قال اللواء قمحة: وماذا نستطيع عمله؟

قلت: ضع الإسكندرية فى منتصف الليل تحت نظام طوارئ وأرسل جنودك لكى يحتلوا جميع المستودعات وصهاريج البترول.

قال: هل سنستعين فى ذلك بجنود بلوكات النظام.

قلت - أبدا.. جنود بلوك النظام اجمعهم وأرسلهم فى لوريات عند الفجر إلى صحراء العامرية.

قال: إن معنى ذلك أنك تريد إبعادهم عن المدينة.

قلت: بالضبط..

قال: ولكن الذى أريد أن تعرفه أن لهؤلاء الجنود بالذات مشكلة خاصة لأن لهم علاوة طوارئ لم تصرف.

قلت: تصرفها لهم فورا.

قال: نصر فيها ازاى، ونحن فى السابعة مساء، واليوم الجمعة؟

قلت: استدع المسئول عن الخزانة، وأطلب إليه باسمى أن يفتح الخزانة ويصرف مستحقات كل هؤلاء الجنود.

لم تكن الحكاية بسيطة، فالرئيس المالى اعتبر ذلك تدخلا، لأن الصرف لا يكون إلا بأمر وزارة المالية، ولكننى استطعت حلها بإرسالى إليه تعهدا كتابيا بمسئوليتى.

ولم تتوقف الإجراءات التى طلبتها عند رجال الشرطة. بل اتصلت بقائد حامية الإسكندرية العسكرية، وطلبت إليه إنزال جنود الجيش لحراسة المرافق العامة كالماء والكهرباء والبريد ومحطة السكك الحديدية.

وقد اتصل قائد الحامية بقائد الجيش (الفريق محمد حيدر) الذى تردد كثيرا، ولكن أمام إلحاحى وافق أخيرا.

وهكذا.. قبل أن تشرق شمس السبت السادس والعشرين من يناير ٥٢ على الإسكندرية كان الجيش والبوليس يسيطرون على مواقع الحراسة وعلى جميع مرافق الإسكندرية. أما جنود بلوك النظام فقد كانوا فى العامرية يمضون عند البحر إجازة سعيدة بعد أن صرفوا علاوة الطوارئ المتأخرة لهم، وقد تصوروا أن احتجاجهم على تأخر صرف هذه العلاوة هو الذى جعلنى أمر بفتح الخزانة لهم مساء يوم الجمعة لكى يصرفوا علاوتهم المتأخرة!

□□□



١ - الملك فاروق يؤدي  
التحية العسكرية في لقائه  
التقليدي مع الجيش في  
٤ فبراير من كل عام .



٢ - أطلال محلات  
شيكوريل أكبر محلات  
القاهرة كما بدت مساء  
الأحد ٢٧ يناير ١٩٥٢ في  
اليوم التالي للحريق .

٣ - فؤاد سراج الدين  
وزير الداخلية المسئول يوم  
حريق القاهرة ٢٦ يناير  
١٩٥٢ وقد ظهر إلى جانبه  
المهندس/ عثمان محرم  
وزير الأشغال .



٤ - مشهد من شارع  
عماد الدين أثناء حريق  
القاهرة .

